فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيِّرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاتُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**)

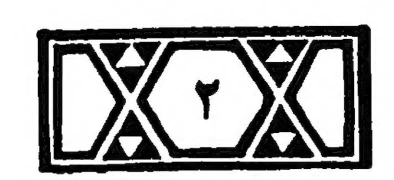
الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

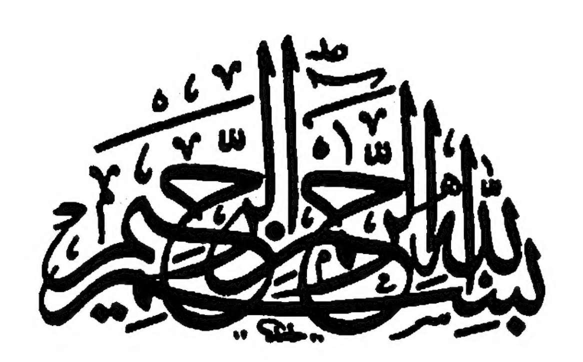
فجر الهدى والإيمان

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام

نوح
عليه السلام
العبد الشكور



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ ــ 2001 م

عنوان الدار:

سورية ــ حلب ــ خلف الفندق السياحي ــ شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وِلَادَةُ نُوحٍ

هُوَ نُوْحُ بنُ لاَمَكَ، وُلِدَ بَعْدَ وَفَاةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعَشْرَةِ قُرُوْنٍ، وَالقَرْنُ قَدْ يَعْنِي مِئَةَ عَام كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَقَدْ يَعْنِي جِيْلاً مِنَ النَّاسِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ ﴾(١).

وَعَلَى هَذَا قَدْ يَكُوْنُ بَيْنَ آدَمَ وَنُوْحٍ عَلَيْهِمَا السَّلاَم أُلُوْفٌ مِنَ السِّنِيْنَ.

---

(١) سورة: الإسراء(١٧).

نُوْحٌ الرَّسُولُ

بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوْحاً[1] عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لَمَّا عَبَدَ النَّاسُ الأَصْنَامَ وَالطَّوَاغِيْتَ وَوَلَجُوا[2] فِي الضَّلاَلَةِ وَالْكُفْرِ، وَطَغَوا وَبَغَوا فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوَّلَ رَسُوْلٍ بُعِثَ إِلَى الأَرْضِ، لِيَرْدَعَهُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. الَّذِيْ قَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3].

وَقَدْ وَرَدَتْ قِصَّةُ نُوْحٍ مَعَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُسَمَّوْنَ: بَنِي رَاسِبَ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِذْ وَرَدَتْ فِي سُوْرَةِ الأَعْرَافِ وَيُوْنُسَ وَهُوْدٍ وَالأَنْبِيَاءِ وَالمُؤْمِنُوْنَ وَالشُّعَرَاءِ والعَنْكَبُوتِ وَالصَّافَّاتِ وَالقَمَرِ، كَمَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِيْهِ سُوْرَةً كَامِلَةً.

---

(١) يُصرف الاسم الثلاثي ساكن الوسط.

(٢) ولج: دخل.

(٣) سورة: الأعراف (٥٩).

نوْحٌ مع قومه

وَمَا إنْ بَعَثَ اللهُ نُوْحاً رَسُوْلاً لِيَهْدِيَ قَوْمَهُ وَيُرْشِدَهُمْ إلَى الطَّرِيْقِ المُسْتَقِيْم وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَان الَّتي ذَكَرَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[١].

حَتَّى وَقَفَ زُعَمَاءُ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَان بِالْمِرْصَادِ لِنُوْحٍ وَلِمَا أَتَى بِهِ، فَحَارَبُوهُ وَآذَوْهُ وَرَفَضُوا أَنْ يَدَعُوا عِبَادَةِ الأَوثَانِ وَالأَصْنَامِ الَّتي لاتَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ. وَكَانَ(وَدٌّ وَسُوَاعٌ وَيَغُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرٌ) رِجَالاً صَالِحِيْنَ مِنْ قَوْمِ نُوْحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ إلَى قَوْمِهِ، أَنْ أَقِيْمُوا لِهَؤُلاَءِ أَنْصَاباً[٢]، وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ وَمِنْ ثَمَّ عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتَنْتَقِلَ بَعْدَ ذَلِكَ إلَى العَرَبِ وَكَانَ لِكُلِّ صَنَمٍ مِنْ هَذِهِ الأَصْنَامِ، طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُوْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) سورة نوح الآية: ٢٣.

(٢) الأنصاب: الأصنام.

وَلَمْ يَنْجَحْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ في إِنْقَاذِهِمَ مِمَّا هُمْ فِيْهِ مِنْ ضَلاَلٍ وَطُغْيَانٍ رَغْمَ دَعْوَتِهِ لَهُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَبِالتَّرغِيبِ تَارَةً وَبِالتَّرهِيْبِ أُخْرَى بَلْ زَادَهُم ذَلِكَ كُفْرَاً وَضَلاَلاً وَاسْتَمَرُّوا فِي عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَحَاوَلُوا إِيذَاءَهُ وَالإِسَاءَةَ إِلَيْهِ وَخَاصَّةً السَّادَةَ الزُّعَمَاءُ مِنْهُمْ الَّذِيْنَ قَالُوا لَهُ:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ[١] مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢] فَأَجَابَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ:

يَا قَومِ، أَنَا لَسْتُ كَمَا تَزْعُمُونَ، مَا أَنَا إِلاّ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ، أَرْسَلَنِي بِالْهُدَى وَاليَقِيْنِ، لأَنْتَشِلَكُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلاَلَةِ إِلَى حَيْثُ النُّورُ وَالْهِدَايَةُ:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

وَلَكِنَّ قَومَهُ كَابَرُوا واسْتَكبَرُوا وَاسْتَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ نُوحٌ رَسُولاً فَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، يَتكَلَّمُ كَمَا يَتَكَلَّمُون، وَيَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُونَ، وَاتَّهَمُوا مَنِ اتَّبَعَهُ بِالْجُنُون وَخِفَّةِ العَقْلِ، وَلَولاَ أَنَّهُمْ فُقَراءُ ضُعَفَاءُ لَمَا اتَّبَعُوهُ: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ

---

(١) المَلأُ: السَّادَةُ.

(٢) سورة الأعراف (٦٠).

(٣) سورة: الأعراف (٦٢).

﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[1].

فَهَؤُلاَءِ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا نُوْحاً، آمَنوا بِهِ وَصَدَّقُوْهُ مِنْ غَيرِ نَظَرٍ وَلاَ رَوِيَّةٍ نَعَمْ، وَكَيْفَ لاَ وَقَدْ جَاءَ بِالْحَقّ أَبْلَجَ[2] ظَاهِراً وَاضِحاً، وَالحَقُّ الظَّاهِرُ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى كَثِيْر تَأَمُّلٍ وَتَفْكِيْرٍ.

وَهكَذا كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ، فَقَدْ آمَنُوا بِهِ وبِمَا جَاءَ مِنَ الحَقّ الوَاضِحِ دُوْنَ تَردُّدٍ أَوْ كَثيرِ تَفْكِيْرٍ وَهَاهُوَ رَسُولُ الله ﷺ، يَقُولُ فِي أَبِيْ بَكْرٍ، رَضِيَ الله عَنْهُ: (مَا دَعَوْتُ أَحَداً إِلَى الإِسْلاَمِ إِلاَّ كانَتْ لَهُ كَبْوَةٌ[3] غيْرَ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتلعْثَمْ).

وَلَمْ يَيْأَسْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بَلْ صَبَرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ وَإِنْكَارِهِمْ لِمَا جَاءَ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ: يَاقَوْمُ لاَ أُرِيْدُ عَلَى مَا أَدْعُوْكُمْ إِلَيْهِ حَمْداً وَلاَ شُكُوراً، وَلاَ أُرِيْدُ مَالاً أَوْ جَاهاً، فَهَذَا لَنْ أَطْلُبَهُ إلاَّ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ الَّذِيْ ثَوابُهُ خَيْرٌ لِيْ مِمَّا تُعْطُونَنِي، لاَ أُرِيْدُ سِوَى أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَا يَنْفَعُكُم فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ:

---

(١) سورة هود(٢٧).

(٢) أَبْلَجَ: وَاضِحاً.

(٣) كَبْوَةٌ: زَلَّةٌ وَهُنَا وَقْفَةُ تَأَمُّلٍ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾(١).

وَطَلَبَ قَوْمُ نُوْحٍ مِنْهُ كَمَا طَلَبَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْهُ أَنْ يَطْرُدَ هَؤُلاَءِ الضُّعَفَاءَ الفُقَرَاءَ، وَأَنْ يُبْعِدَهُمْ عَنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنُوا بِهِ، فَهُمْ سَادَةُ القَومِ وَزُعَمَاؤُهُمْ وَأَغْنِيَاؤُهُمْ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَهُمْ أَنْ يُجَالِسُوا هَؤُلاَءِ الفُقَرَاءَ الضُّعَفَاءَ؟. وَيُصْبِحُوا فِي الإِيْمَانَ لاَفرقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَؤُلاَءِ الفُقَرَاءِ، لَكِنَّ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ، رَفَضَ طَلَبَهُمْ، مُنْكِراً عَلَيْهِمْ شَرْطَهُمْ هَذَا.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ﴾(٢).

وَامْتَدَّ الزَّمَنُ وَطَالَ النِّقَاشُ وَالْجِدَالُ، وَمَرَّتْ أَجْيَالٌ وَأَجْيَالٌ، وَرَغْمَ المُدَّةِ الطَّوِيْلَةِ الَّتِي عَاشَهَا نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، يَدْعُو بِهَا قَوْمَهُ وَيُحَاوِلُ إِرْشَادَهُمْ وَهِدَايَتَهُمْ إِلاَّ أَنَّ عَدَدَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَانَ قَلِيْلاً جِدّاً. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة: هود(٢٩).

(٢) سورة: هود(٢٩).

(٣) سورة: العنكبوت (١٤).

فَكَانَ الأَبُ إِذْا بَلَغَ وَلَدُهُ سِنَّ الرُّشْدِ يُوصِيه أَلاَّ يُؤْمِنَ بِنُوْحٍ مَاعَاشَ فَإِذَا تَزَوَّجَ الْوَلَدُ، وَصَارَ لَهُ أَوْلاَدٌ أَوْصَاهُمْ بِدَوْرِهِ، أَلاَّ يُؤْمِنُوا بِنُوْحٍ مَا عَاشُوا.

الطوفان

يَئِس نُوْحٌ عَلَيْهَ السَّلاَمُ مِنْ صَلاَحِ قَوْمِهِ وَفَلاَحِهِمْ ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِيْهِمْ بَعْدَ أَنْ أَوْغَلُوا[1] فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، وَأَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ بِهِ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2].

وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ أَذَى قَومِ نُوْحٍ لَهُ، وَاسْتَمَرُّوا فِي تَكْذِيْبِهِ دَعَا عَلَيْهِمْ، فَلَبَّى الله دَعْوَتَهُ وَأَجَابَهُ إِلَى طَلَبِهِ قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

---

(١) أوغلوا: تمادوا.

(٢) سورة: هود (٣٦).

(٣) سورة: الصافات (٧٥، ٧٦).

وَكَانَ نُوحٌ قَدْ دَعَا عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُهْلكهُمُ الله وَلاَ يُبْقِي مِنْهُمْ أَحَداً:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[١].

وَعِنْدَئِذٍ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوحاً أَنْ يَصْنَعَ الفُلْكَ[٢]: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[٣].

وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ، عِنْدَمَا رَأَوْهُ يَصْنَعُ السَّفِينَةَ العَظِيْمَةَ سَخِرُوا مِنْهُ وَأَخَذُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، فَكَيْفَ سَتَجْرِيْ هَذِهِ السَّفِيْنَة الضَّخْمَةُ؟ وَمَنْ سَيَقْدرُ أَنْ يَدْفَعَها وَعَلى أيِّ مَاءٍ سَتَعُومُ؟.

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[٤].

وَعِنْدَمَا أَتَمَّ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِنَاءَ السَّفِيْنَةِ الضَّخْمَةِ، أَمَرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْمِل فِيْهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مِنَ الحَيَوَانَاتِ،

---

(١) سورة نوح (٢٦، ٢٧). لا تذرْ: لا تبْقِ.

(٢) الفلك: السفينة العظيمة.

(٣) سورة: هود (٣٧).

(٤) سورة: هود (٣٨).

وَبَعْضَ المْأكُولاتِ لِكَيْ تَبْقَى عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ كَمَا أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِل مَعَهُ أَهْلَهُ، إلاَّ مَنْ كَانَ كَافِراً، فَأُولَئِكَ قَدْ حَقَّ عَلَيْهِمُ العْذَابُ، كَمَا أَمَرَهُ ألاَّ يَحْزَنَ عَلَى مَا سَيَحِلُّ بِأَهْلِهِ الْكَافِرِيْنَ مِنَ العَذَابِ العَظِيْم وَألاَّ يُرَاجِعَهُ فِيْهِمْ:

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ[1] فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[2].

وَانْهَمَرَتِ الأَمْطَارُ الغَزِيْرَةُ بِأَمْر الله عَزَّ وَجَلَّ، وَكَأنها أفواهُ القُرَبِ، وَنَبَعَتِ الأَرضُ مِنْ جَمِيْع جِهَاتِهَا، وَتَلاَطَمَتِ الأَمْوَاجُ وَتَعَالَتْ وَتَعَاظَمَتْ حَتَّى جَاءَتِ المَاءُ عَلَى السَّهْلِ وَالجَبَلِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[3].

---

(١) التنور: المراد به: وجه الأرض تنبع بالماء حتى تنبع التنانير.

(٢) سورة المؤمنون (٢٧).

(٣) سورة: القمر (١١، ١٢، ١٣) دُسُر: المسامير.

نَجَاةُ نُوحٍ والمُؤْمِنِينَ

وَنَجا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْمدَهُ عَلَى مَا هَيَّأَ لَهُ مِنْ هَذِهِ السَّفِينَةِ:

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ (١) كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ (٢) مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ (٣) ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤).

وَسَارَتِ السَّفِينَةُ بِهِمْ تَتَلاَطَمُهَا الأَمْواجُ الهَائِجَةُ، وَتَتَقَاذَفُهَا هُنَا وَهُنَاكَ وَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ يَدْعُو ربَّه وَيَحْمَدُهُ وَيَشْكُرُهُ وَيَقُولُ مُخَاطِباً المُؤْمِنِيْنَ:

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥).

---

(١) الأزواج: الأصناف.

(٢) الأنعام: الحيوانات.

(٣) مقرنين: مُطيقين.

(٤) سورة الزخرف الآيات (١٢، ١٣، ١٤). منقلبون: منصرفون.

(٥) سورة: هود (٤١).

وَتَذَكَّرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ابْنَهُ وَأَنَّى لَهُ أَنْ يَنْسَاهُ، وَكَيْفَ يَنْسَاهُ، وَهُوَ الأَبُ الرَّحِيْمُ العَطُوفُ، لِكنَّ «يام» بْنَ نُوحٍ كَانَ مِنَ الكَافِرِيْنَ الظَّالِمِيْنَ، فَقَدْ خَالفَ أَبَاهُ وَعَقَّهُ، وَلَمْ يَمْتَثِلْ لأَوَامِرِهِ، فَلَمْ يَرْكَبِ السَّفِيْنَةَ مَعَ أَبِيْهِ، ظَنّاً مِنْهُ أَنَّهُ سَيَنْجُو مِنَ الغَرَقِ إِنْ هُوَ صَعِدَ قِمَّةَ الجَبَلِ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى[1] مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[2].

وَغَرِقَ النَّاسُ الْكَفرةُ، وَهَلَكُوا وَلَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ زِنْدِيْقٌ وَاحِدٌ مِمَّنْ عَبَدُوا غَيْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَئِذٍ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاءَ أَنْ تَقِفَ عَنْ سَكْبِ المْطرِ، وَاليَنَابِيعَ أَنْ تَتَوقَّفَ وَتَبْلَعَ مَاءَهَا:

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ[3] ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ

---

(١) يعصمني: يحميني وينقذني.

(٢) سورة: هود (٤٢، ٤٣).

(٣) غيض الماء: نقص.

﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ(١) وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

ثُمَّ تَسَاءَلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مُسَاءَلَةَ اسْتِعْلاَمٍ وَاسْتِيضَاحٍ وَقَالَ مُخَاطِباً رَبَّهُ: ـ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ تُنْقِذَ أَهْلِيْ، وَابْنِي مِنْ أَهْلِيْ وَقَدْ غَرِقَ:

فَأَجَابَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بِأَنَّ«يَامَ»لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ مِمَّنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَولُ أَيْ أَنَّهُ سَيَغْرقُ بِضَلالِهِ وَكُفْرِهِ، وَلِهَذَا جَرَّتْهُ الأَقْدَارُ أَنْ يَنْحَرِفَ عَنْ أَهْلِ الإِيْمان ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾(٣).

وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَت السَّمَاءُ وَيَبِسَتِ الأَرْضُ بَعْدَ أَنْ نَضَبَ المَاءُ وَصَارَ مُمْكِناً العَيْشُ عَلَيْهَا وَالاسْتِقْرَارُ فَوْقَهَا وَالسَّعْيُ فِيْ مَنَاكِبِهَا، أَمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنْ يَهْبطَ مِنَ السَّفِيْنَة سَالِماً مُبَارَكاً وَيَعِيْشَ عَلَى الأَرْضِ مَعَ أَوْلاَدِهِ سام أَبي العَرَبِ وَحَام أَبي الحَبَشِ وَيَافِثَ أَبي الرُّوْمِ.

---

(١) الجودي: جبل في منطقة الجزيرة قرب الموصل.

(٢) سورة: هود الآية(٤٤).

(٣) سورة: المؤمنون (٢٧).

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

وَهَكَذَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْعَل لأَحَدٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَسْلاً وَلاَ عَقِباً سِوَى نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَكُلُّ الْبَشَرِ الْيَوْمَ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، يُنْسَبُونَ إِلَى أَوْلاَدِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ الثَّلاَثَةِ. وَلاَ بُدَّ مِنَ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مُنْكِرَ حُدُوْثِ الطُّوفَانِ، كَافِرٌ زِنْدِيْقٌ فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الأَدْيَانِ جَمِيْعاً، مَعَ مَا تَنَاقَلَهُ النَّاسُ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ عَلَى الطُّوفَانِ، وَأَنَّهُ عَمَّ جَمِيْعَ الْبُلْدَانِ.

العَبْدُ الشَّكُورُ

هَذَا وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى نُوْحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيْزِ بِالعَبْدِ الشَّكُورِ إِذْ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[2].

فَقَدْ كَانَ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَحْمَدُ اللهَ وَيَشْكُرُهُ عَلَى طَعَامِهِ

---

(١) سورة هود الآية (٤٨).

(٢) سورة الإسراء الآية (٣).

وَشَرَابِهِ وَلِبَاسِهِ وَعَلَى كُلِّ شَيْء ، يَقُولُ رَسُولُ الله، ﷺ فِي الحَدِيْثِ الذّيْ رَوَاهُ وَالتّرمِذِيُّ وَأَحْمَدُ:

إنَّ الله لَيَرْضَى عَنِ العَبْد أَنْ يَأكُلَ الأكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أو يَشْرَبَ الشّرْبَة فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا.

وَأَخِيْراً يَجْدُرُ بنَا أنْ نَذْكُرَ فِي نِهَايَةِ المَطَافِ وَصِيَّةَ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لابْنِهِ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله،ﷺ فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْح:

إنَّ نَبِي الله نُوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لابْنِهِ: إنِّيْ قَاصٌّ عَلَيْكَ الوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَينِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْن:

آمُرُك بِلاَ إله إلاَّ اللهُ، فَإنَّ السَّمَواتِ السَّبْعَ، وَالأَرْضِيْنَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لاَ إله إلاَّ اللهُ فِي كِفَّةٍ ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأَنَّ السَّمَوَات السَّبْعَ والأَرْضِيْنَ السَّبع كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً ضَمَّتْهُنَّ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإنَّ بِهَا صِلاَتِ كُلِّ شَيْء وَبِهَا يُرْزَقُ الخَلْقُ.

وَأَنْهَاكَ عَن الشّرْكِ وَالكِبْر، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الشّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الكِبْرُ. . . قَالَ: سَفَهُ الحَقّ وَغَمْطُ(١) النَّاس.

---

(١) غمط الناس: استحقارهم.